Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها – الشمال الإفريقي أنموذجا-

The prosperity of the economic manifestations in the Roman civilization between Rome and its colonies "North Africa as a model

د. كاكي محمد
جامعة زيان عاشور الجلفة

mohamed.kaki@ymail.com

تاريخ الاستلام: 2022-03-01 تاريخ القبول : 2022-04-04

الملخــص

تهدف الدراسة لمعرفة مدى ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها، وقد اخترت منطقة المغرب القديم كنموذجا، حيت يتم التطرق للنشاط الزراعي ومظاهره، وواقع النشاط الفلاحي عموما ببلاد المغرب خلال الفترة الرومانية، ومن بينها انتشار النمط الرعوي في المغرب (Nomadisme)، والسياسة الفلاحية الرومانية، مع الإشارة لدور المستعمرات الرومانية في ازدهار حركة الاقتصاد الزراعي، وأهم أشكال الاستغلال وطرقه، والتي نتعرض فيها لعمليات استنزاف الأراضي، والقطع المفرط للأشجار، إضافة لتفضيلهم لبعض الاستثمارات عن الأخرى..

ومن بين أهم نتائج الدراسة معرفة سياسة روما الاستعمارية في المجال الاقتصادي، والتي كانت أحد مظاهر السياسة الاستعمارية ككل، واعتبار الاقتصاد المغرب كقوة سعت الإمبراطورية من خلالها توفير الأمن الغذائي، واستغلال شبكة الطرق والمواصلات لنقل وتصنيع واستنزاف خيرات المغرب، إضافة لمعرفة أهمية النقل التجاري البحري بين المستعمرات الرومانية، تطوير بناء المراكب.، كما تبرز الدراسة مدى وفرة وتنوع مظاهر الإنتاج والثروات وكثافة التبادل التجاري، واستمرار حركة النقل، لمختلف الموارد الزراعية والصناعية المحلية.

الزراعي، والجانب الصناعي، والتجارة وحركة النقل، والأسواق والنقد، وأهمية التشريع الزراعي في الدولة الرومانية، ثم دور الإصلاحات والتنوع الاقتصادي، وأهم التقنيات الزراعة الرومانية، واهتمام الحكومات بالإعانات الاقتصادية للمواطن الروماني، وباقتصاد الحرب وتموين الجيوش بالغذاء، والتركيز دوما على المبادلات التجارية، والنقل التجاري وتموين المدن، وتنويع الواردات الغذائية من الشمال الإفريقي، الذي يعتبر المون الإستراتيجي للرومان بالقمح، مع تغطية المستعمرات الرومانية لمواردها وحاجياتها الزراعية، من خلال أهمية النشاط التجاري بين الرومان ومستعمراتهم المؤمن والمستمر، وبالتالي انعكاس ذلك على عوامل ازدهار تجارة المستعمرات الرومانية..

*) الكلمات المفتاحية:

المستعمرات الرومانية، روما، الأمن الغذائي، التشريع الزراعي، اقتصاد الحرب،

Abstract

In this study, I will take the prosperity of economic aspects in Roman civilization between Rome and its colonies (North Africa as a model), and I will focus on a group of axes that address the answer to the general form of study, such as agricultural activity and its manifestations, the reality of agricultural activity in Morocco during the Roman period, and the pastoral style in the Roman Morocco (Nomadisme), in addition to the Romanian agricultural policy in general in the countries of Morocco, the role of the Roman colonies in the flourishing movement of the agricultural economy in general and the Moroccan economy in particular in light of the Roman occupation, and the most important forms of economic exploitation and methods,

which are extreme in the depletion of land Doanh, operations and excessive cutting of trees, in addition to a preference for some other investments ..

I also study the diversity of the aspects of the Romanian economy, the most important commodities, products and the movement of transport with the outside world, agricultural, industrial and commercial, in addition to the movement of transport, markets and cash, the importance of agricultural legislation in the Romanian state, then the role of reforms and economic diversification, the most important techniques of Romanian agriculture, and the role of Romanian governments In the economic benefits to the citizen, the economy of war and the supply of armies with food, the focus on trade exchanges, commercial transport and the provision of cities, and the diversification of food imports from North Africa, especially grains, thus highlighting the importance of commercial activity between the Romans and colonies, and a reflection on the flourishing trade factors colonies Romanian ..

Keywords :

Roman colonies, Rome, food security, agricultural legislation, the economy of war ,

المقدمـــة

تتناول الدراسة موضوع ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها، وخاصة منطقة المغرب القديم، حيث تبرز أهمية الدراسة من خلال واقع النشاط الزراعي ومظاهره وأهميته في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، ونمط الرعي، والسياسة الفلاحية، والزراعية، مع الإشارة لدور المستعمرات الرومانية في ازدهار حركة الاقتصاد الزراعي، وأهم أشكال الاستغلال الاقتصادي الروماني في مستعمراته، وطريقة الاستغلال لإنتاج القمح والحبوب، والصيد، واستخراج المعدن، وقطع الأشجار، أي الإشارة لعمليات استنزاف الأراضي، والقطع المفرط للأشجار، وتفضيلهم لبعض الاستثمارات عن الأخرى..

تكمن إشكالية الموضوع الأساسية في مدى وحقيقة ازدهار الاقتصاد بين روما ومستعمراتها، كمنطقة المغرب القديم، ولذلك سنكشف عن سياسة روما الاستعمارية في المجال الاقتصادي، ضمن سياسة الاحتلال المباشر، واهتمامها بالأنشطة الاقتصادية لدعم قوتها المادية والغذائية، وتوفير الأمن الغذائي لسكانها، والهيمنة على الأسواق والمبادلات لتوفي المزيد من الموارد العسكرية..

تهدف الدراسة لمعرفة مدى ربط الاستعمار الروماني مستعمراته بقوته الاقتصادجية واعتبارها مخزنا ومستودعا لجلب الثروة، واليد العاملة، وتوفي الغذاء لسكانه، ولجيوشه التي تتوزع في الشرق وفي أوروبا، والكثير من مناطق آسيا..، كما تبين الدراسة مدى حنكة المستعمر في الاهتمام بشبكات الطرق، ووسائل النقل، وكدها لأبعد حدود داخل الأراضي النوميدية، والقرطاجية

والموريطانية لتأمين مرور ونقل البضائع، والجيوش، ومراقبة حركة القبائل..

اتبعت الدراسة المنهج التوثيقي، وهو الذي يقدم الأحداث وكيفية ظهورها، وتطورها، لكونه يمثل طريقة استردادية للأحداث، وذلك لقدرته على معرفة أخبار الرومان، والمستعمرات، وإمكانية التحقيق، والتعليل، والتعرف على كيف حدث وما أسباب ما حدث، وفي دراستي لواقع الاقتصاد الروماني في المستعمرات يمكن للمنهج التاريخي أن يبلغ المعارف والحقائق، لقدرته على الإلمام بالمعلومات والبيانات التي عرفتها الفترة الرومانية في المغرب، وبالخصوص ما تعلق بتنوع مظاهر الاقتصاد الروماني، ومعرفة أهم السلع والمنتجات الرومانية وحركة النقل مع العالم الخارجي، وتنوع المحاصيل الزراعية، إضافة لمعرفة الجانب الصناعي، وما تعلق بالتجارة وحركة النقل..

إضافة لاعتماد الدراسة للمنهج الوصفي، لكونه يصف الأحداث والوقائع الرومانية، ومظاهر الاقتصاد، وعمليات النقل، وحركة الأسواق، والتعرف على الكثير من مظاهر الحضارة الرومانية في المغرب القديم، كالثقافة، والمجتمع، ويمكن لهذا المنهج أن يصف المعلومة والحادثة بطريقة دقيقة، وكمية، ونوعية، وجزئية، وشاملة، وأن يصف العلاقات المتبادلة، والأسواق، ومميزات البيع، ونقل الثروة..، وأخيرا قسمت الدراسة لستة محاور أساسية، تغطي كل العملية البحثية..

1) النشاط الزراعي ومظاهره:

1.1 واقع النشاط الفلاحي في المغرب خلال الفترة الرومانية:

يعتبر الاحتلال الروماني للمغرب من أخطر أنواع الاحتلال التي عرفتها البلاد في تاريخها السياسي، نظرا لطبيعته السياسية، حيث تبنى سياسة استعمارية كانت لها انعكاسات سلبية عدة على وحدة البلاد السياسية، وبالأخص على إعادة توحيد الدولة المغربية، ويمكن أن نحصر هذه الانعكاسات في ظاهرتين أساسيتين تتمثلان في كل من انتشار النمط الرعوي، وتكون الإمارات السياسية[1].

1.1.1 انتشار النمط الرعوي في المغرب الروماني(Nomadisme):

رغم أن النمط الرعوي كان متواجدا بالمغرب نتيجة لظروف جغرافية وسياسية، بما كان يمثله ذلك من تمرد على السلطة المركزية، إلا أن انتشاره لم يصل إلى الحد الذي بلغه بعد الاحتلال الروماني للمغرب، ويرجع هذا الانتشار بالخصوص إلى السياسة الاستعمارية المنتهجة من طرف سلطات الاحتلال، سواء على الصعيد الفلاحي أو على الضريبي أو الطرق[2].

1.1.2 السياسة الفلاحيـــة:

من المعروف أن أهم الدوافع التي حركت روما لاحتلال المغرب تكمن بالخصوص في الحصول على القمح، لذا فبمجرد ضم المغرب إلى الإمبراطورية الرومانية تم التفكير في الاستحواذ على أخصب الأراضي الفلاحية المغربية، وقد تمت هذه العملية من خلال اللجوء إلى وسائل عدة، من أهمهـــا:

= مصادرة الأراضي الزراعية

= الاستيلاء على الأراضي المخصصة للرعي

= تحويل الملاك إلى مؤاجرين

= فرض السخرة

وقد أدت هذه السياسة إلى تجريد العديد من السكان من أراضيهم الفلاحية؛ بحيث أصبحوا أمام خيارين: إما الخضوع للسخرة ودفع الضرائب، وإما التمرد والهروب إلى الصحراء وراء الليمس.

وهكذا عبر (العروي) على هذه الظاهرة عندما أشار إلى أن "الليمس ليس تماما حدا من حدود الحضارة بقدر ما هو حد متحرك بين الذين نزعت ملكيتهم، الذين تم دفعهم إلى الصحراء والشغيلة الذين تدعوا إليهم الحاجة الماسة، الذين يسخرون ويرهقون بالضرائب، وعليه يتحدد المتمردون، فالمور هم الذين نزعت ملكيتهم واختاروا الحرية"[3].

1.2 سياسة الرومان الزراعية في المغرب:

استحوذ الرومان على أخصب الأراضي الفلاحية المغربية من خـــلال :

= مصادرة الأراضي الزراعية

=الاستيلاء على الأراضي المخصصة للرعي

= تحويل الملاك إلى مؤاجرين

= فرض السخرة

وبالتالي فإن السياسة الفلاحية التي اتبعها الاحتلال الروماني في المغرب تقوم علـى:

= مصادرة الأراضي الزراعية

= مصادرة الأراضي والغابات المخصصة للرعي

= تحويل ملاك الأرض إلى مؤجرين في أرضهم

= فرض السخرة والتهجير[4].

السنة	كمية القمح	كمية الشعير	الوجهة
200 ق.م	14000 قنطار	10500 قنطار	الجيش الروماني بمقدونيا
198 ق.م	14000 قنطار	----------	الجيش الروماني باليونان
191 ق.م	56000 قنطار	28900 قنطار	إلى روما واليونان
170 ق. م	70000 قنطار	----------	جيش مقدونيا

الكمية التي زود بها النوميديون الرومان، نقلا عن غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر: ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، تعريب وتحقيق العربي عقون، نشر المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص. 50.

2. دور المستعمرات الرومانية في ازدهار حركة الاقتصاد الزراعي

1.2 الاقتصاد المغربي في ظل الاحتلال الروماني:

بخصوص سياسة روما الاقتصادية فإنها قسمت المغرب إلى مناطق نافعة وغير نافعة، وبطبيعة الحال فإن المناطق النافعة استوطنها الرومان كما تفيدنا بذلك البراءات العسكرية المكتشفة في كل من بناصا ووليلي، حيث توضح أن العديد من قدماء المحاربين نالوا بهذه المناطق النافعة قطعا أرضية، وأكثر من ذلك فإن نقائش وليلي توضح كيف استقر بها مهاجرون من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، حيث قدموا من فيينا وسوريا وبلاد العرب أما التمثال الذي وجد في سلا لمركوس سولبيكيوس والذي أقامه مجموعة من الأصدقاء، فتدل أسماؤهم وألقابهم على أنهم قدموا من اسبانيا وايطاليا، لكن إذا كانت هذه النقائش تخبرنا بجنسيات المستوطنين فإننا سنظل نتسائل حول نوعية الاستغلال الاقتصادي الذي أقامه هؤلاء في المغرب[5].

1.1.2 أشكال الاستغلال الاقتصادي:

وزع الرومان نوع الاستغلال الاقتصادي على الأنشطة التالية:

= زراعة القمـح:

يعدّ القمح من أهم المحاصيل الزراعية الإفريقية التي نالت اهتماماً كبيراً في زراعتها حتى في العصورالسابقة للاستعمار الروماني، فقد ساعد مناخ شمال أفريقيا مع وفرة المياه علي إنتاج كميات كبيرة من الغلال والحبوب[6]، فضلاً عما تمتعت به التربة من خصوبة في الكثير من المناطق مثل وادي كينوبس الذي أشار هيرودوتوس إلى خصوبته مقارناً إياه بأرض بابل[7].

وهي زراعة ادخلها البونيقيون وازدهرت في عهد الملوك الموريين كما دلت على ذلك النقوش الموجودة على النقود المكتشفة في طنجة وأصيلة وليكسوس وبناصة وبابا، أما في العهد الروماني فسيزرع القمح في أراضي كانت بورا وبكميات ضخمة لدرجة أن موريطانيا كانت لأحد مخازن الشعب الروماني.

= زراعة الزيتون والأغراس النافعة والبقليات كالفول .

= تربية الخنازير .

= صيد السمك:

في هذا الصدد قاموا بإحياء المصايد البونيقية لصيد السمك وأنشأوا معامل جديدة لتمليحه بلكسوس

= تجارة الأخشاب وجلود الفراء والعاج عن طريق استغلال غابات العرعار بالمغرب وصيد الحيوانات الضارية والفيلة.

2.1.2 طريقة الاستغـلال:

= استنزاف الأراضي:

أثناء تنظيم عمليات استغلال ثروات المغرب فإن الرومان لم يهتموا إلا بمصلحتهم ولم يعيروا اهتماما لحاجيات السكان المحليين فكانت طريقتهم قائمة على استنزاف الأراضي والاستغلال المفرط مع حرمان الأهالي من الاستفادة منها، فهم مثلا اصطادوا الوحوش الضارية لتزويد ملاعبهم ومتاجرهم بالفراء واصطادوا الفيلة طمعا في عاجها بشكل مفرط حتى انقرضت نهائيا في القرن الرابع م[8]

= **القطع المفرط للأشجار:**

قاموا بالقطع المفرط لأشجار العرعار حتى انقرضت أما في مجال تربية المواشي فإنهم لم يهتموا إلا بأنفسهم فربوا الخنزير رغم أن لحمه مكروه من طرف الأمازيغ .

= **تفضيلهم لبعض الاستثمارات عن الأخرى:**

يلاحظ أن اهتماماتهم الاستثمارية لم تتطابق تماما مع نظيرتها الفينيقية أو المغربية، فهم وإن احيوا المصايد البونيقية فإنهم أهملوا المتاجر التي أنشأها البونيقيون على المحيط، كذلك هجروا حقول النخيل بوادي تنسيفت وأهملوا جزر الكناريا ومصبغات الأرجوان وأهملوا كذلك مناجم الفضة في درعة.

2. 2 سياسة روما الاستعمارية في المجال الاقتصادي:

ما يمكن قوله بخصوص هذه السياسة هو أنها قامت على الاستنزاف المفرط لثروات المغرب مع الاقتصاد في النفقات العسكرية، لهذا حصر الرومان تواجدهم العسكري في المناطق النافعة (من طنجة إلى وليلي)، ولهذا كان عدد الجنود لا يتعدى ستة آلاف رجل وقد عوضت روما هذا النقص في العدد بإقامة طرق تربط بين طنجة وسلا ووليلي، من أجل ضمان تحرك سريع للقوات العسكرية بالإضافة إلى أن المستوطنين الرومان كانوا أساسا من الجنود المسرحين من الخدمة وبذلك كانوا يشكلون جيش احتياط يمكن استخدامه في أي لحظة لمواجهة ثورات الأهالي[9].

2. 2. 1 نتائج الاحتلال المباشر:

إذا قمنا بمقارنة بين مغرب ما قبل بطلمي وما بعده، فإننا نلاحظ أنه في عهد الملوك الأمازيغ كان السلام مخيما على المغرب أما في عهد الاحتلال المباشر فكانت الثورات لا تنقطع كما توضح ذلك النقائش المكتشفة في وليلي والتي تتحدث عن المعاهدات المتكررة التي كانت السلطات الرومانية تبرمها مع ملوك القبائل الأمازيغية هذه الاضطرابات والثورات استمرت إلى أن اضطر الإمبراطور (ديوكلتيان) إلى

التخلي سنة 283م عن موريطانيا السفلى والاحتفاظ فقط بموريطانيا الطنجية وضمها إلى أبرشية اسبانيا[10].

2. 3 أهمية الاقتصاد في قوة الرومان:

لم يكن للوحدة السياسة في الدولة الرومانية في العهد الإمبراطوري أن تكتمل ما لم يتحقق لها أدنى حد من

وحدتها الاقتصادية والاجتماعية تشد بين أطراف هذه الوحدة، فالجمهورية (509 – 27 ق.م) لم تهيئ لها الظروف لظهور عفوي, إذا أن جل همها انصرف لإشباع حاجات روما المباشرة بالاستغلال والاحتكار المباشر لخيرات وثروات البلاد المفتوحة وأن توفر للايطاليين أحيانا بغير رضى منها المنافع التي يتمتع بها المواطنون من سكان روما, دون أن تضمن لهم الوضع الحقوقي المساوي لما ينعم به المواطن الروماني في المدينة, أما الأمر فقد تم على غير ذالك مع الإمبراطورية (27ق.م- 476م) تحت تأثير إدارة واعية مدركة لأغراضها ناشدة لأهدافها من جهة، ومن جهة أخرى بفضل التطور والتغيرات الذي خضع له وضع الإمبراطورية العام خلافا للعهد الجمهوري بعد أن عرفت أن تهيء له الأسباب اللازمة وأهم هذه التغيرات كان استتباب السلام الروماني (Pax Romana) ، وانتظام الإدارة في الولايات..، وقد صحب هذه التغييرات انقطاع دابر الارتباكات الإدارية وتوقف استغلال هذه الولايات المفرط لصالح أقلية ضئيلة من أصحاب الامتيازات[11].

2. 4 سعي الرومان لتوفير الأمن الغذائي:

إن الشعور الذي ساد الجميع من سكان الإمبراطورية خلال القرنين الأولين الميلادي هو أن الحياة الاقتصادية تميزت بالازدهار والانطلاق, وقد راح معاصرو هذا العهد يعزون الفضل هذا كله للجهاز الإداري للإمبراطورية ولا سيما للأباطرة أنفسهم وهم في ذالك يرددون ما تنفخ به أبواق الدعاية الرسمية للدولة، ومع هذا فإننا لا نستطيع أن نعزو فضل ذالك إليهم، أي الأباطرة إلا من ناحية فرعية باعتباره نجاحا أو نتيجة لسياستهم الحربية والإدارية التي أدت إلى تنظيم الجهاز الإداري والنظام القضائي في الولايات وتوطيد السلام في ربوع الإمبراطورية وهو بالتالي ما انعكس وخلق حالة من الازدهار الاقتصادي هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الأباطرة أنفسهم كثيرا ما احترزوا من تطبيق سياسة اقتصادية موجهة ولا سيما من وضع فلسفة اقتصادية تقوم على توجيه الدولة للاقتصاد ولعل خير ما كانوا يرجونه ألا يتدخلوا في أمور وموضوعات كثيرا ما أوعزتهم الحيلة في معالجتها وما كانوا ليرغموا على لتدخل بتاتا لولا اضطرارهم لمواجهة قضيتين عصيبتين هما تامين تموين روما بالقمح وتموين الجيش الروماني على الحدود[12].

3. طرق المواصلات الاقتصادية

3. 1 أهمية الطرق المغربية في الاقتصاد الروماني:

على غرار ما قامت به روما في مناطق شمال إفريقيا المحتلة، ربطت السلطات الرومانية كل المناطق المغربية التي احتلتها بشبكة من الطرق، وقد كان الهدف من إنشاء هذه الشبكة تحقيق مرامي عدة، من أهمهـــا:

أولا: ربط موريتانيا بالمستعمرات الرومانية الأخرى

ثانيا: تسهيل عملية تصدير المنتجات المغربية

ثالثا: تسهيل عملية ملاحقة القبائل المتمردة

وقد أسفرت مختلف هذه السياسات عن تراجع كبير للحياة الحضرية بالمغرب نتيجة للأسباب التاليـــة:

= هجرة الأهالي إلى المناطق الصحراوية

= تحول السكان من حياة الاستقرار إلى حياة الترحال

= انتشار الفوضى وعدم الأمن.

ونتيجة لهذه الأسباب أيضا، أصبح الضغط شديدا على مختلف المناطق الصحراوية بالبلاد، لأنها أضحت ملجأ سياسيا لكل الفارين من تعسف الحكم الروماني. وقد أدى ذلك إلى إحداث خلل في التوازن الديمغرافي للبلاد، إذ أصبحت المنطقة الصحراوية أكثر سكانا من شمال المغرب بكل ما ترتب عن ذلك من انعكاسات سلبية على مستقبل البلاد والتأثير في تطورها السياسي، وقد ألمح المؤرخ (العروي) بذكاء إلى هذه الظاهرة، حيث أشار إلى أن "الصحراء، الملجأ التاريخي الصرف، هي التي سوف تضغط بكل سلبيتها على التطور المغربي من القرن الثالث إلى السابع"، وتكمن هذه السلبية التي تحدث عنها العروي في تراجع الحياة العامة بشكل عام، والانتظام في تجمعات محلية تمثلت على الخصوص في انتشار الإمارات السياسية[13].

3. 2 طرق المواصلات ووسائل انقل بين الرومان ومستعمراتهم:

أنشأت الدولة الرومانية شبكة من الطرق المركزية الممتازة وتعهدت بصيانتها والرعاية بها وتبرز أهمية هذه الطرق إذا ما قارنها بما كان سائد قبلها إذ كانت مجرد مسالك تعارف الناس منذ أمد بعيد على الترحال أو نقل بضاعتهم عبرها, وقد حقق مهندسي الطرقات الرومان انجازات هندسية جبارة تعد بحق من معجزات الهندسة المدنية آنذاك, إذ تمكنوا من تخطى النواتئ الطبيعية من جبال ووديان ومنحدرات وأنهر صعبة الاجتيازات ومدوا شبكة من طرق تتخللها مجموعة من الجسور والقناطر التي شقت عباب أنهر الدانوب والراين ومن عجائب الطرقات الرومانية آنذاك هو تجهزيها بما يعرف اليوم بإشارات الطرق وبأحجار قياس المسافة الكيلومترية أو ما يعرف بالاتينية بـ: (Miliarium) والتي كانت توضح أسماء المدن التي تقود إليها الطريق مع ذكر المسافة المتبقية من الحجر إلى المدينة أو اتجاه المدن وأسمائها بالنسبة للإشارة الطرق، والى هذا فقد بنيت جميع المدن الجديدة كتيمقاد وفقا لمخطط شبكة الطرق المتعامدة التي سهلت حركة النقل والتجارة وقد كانت هذه الأعمال الهندسية مثال للأجراء، فكل الأباطرة الذين تعاقبوا على الحكم تركوا آثارهم المعمارية البارزة التي تحدت الدهر ولا تزال ماثلة إلى اليوم.، ومع ذلك فإن وسائل استخدام الحصان والنقل لم تعرف نفس التطور والنجاحات التي عرفها فن الهندسة المدنية الرومانية في مجال بناء الطرق, فسيطرة حيوانات الجر بقيت عادة محدودة لم يشع استعمالها خارج مخيمات الجيش, وطريقة كدن الحصان إلى العربة ظلت بدائية إذ استمروا في استعمال سيور يؤثر ضغطها على صدر الحصان وحركة تنفسه, ولذا قلما زادت حمولة عربة يجرها جوادان على 500 كلغ وهي كمية قليلة هينة ترهقها تكاليف الرسوم والسفر[14].

فالطرقات الإمبراطورية التي لا تزال تبعث في النفس الدهشة والإعجاب لصمودها وانسيابها في صراط قويم غير مبالية بموانع الطبيعة, كانت تصلح لنقل البريد الإداري الإمبراطوري cursus) (publicusوتنقلات المسافرين الذين لم يكونوا ليحملوا معهم أكثر من متاعهم وقبل كل ذالك لتحركات الجيوش أكثر مما صلحت أو استغلت في تنشيط حركة التجارة والاقتصاد خصوصا في ذالك الشطر الشرقي من الإمبراطورية..

3. 3 النقل التجاري البحري للرومان ومستعمراتهم:

راحت الحركة التجارية تعول بالأكثر على النقل البحري فقامات أساطيل وعمارات يقودها مجذفون تمخر المتوسط ومجاري الأنهر ذهابا وإيابا حتى ما كان منها صعب المسالك كنهر الرون ونهر الأودر, وقد لجاء

المهندسون الرومان الذين عرفوا بجرأتهم في مجالات التعمير والبناء إلى حفر الترع والأقنية المائية لتقليل المسافة ومدة السفر عن طريق اختصار المسالك, ومن الأقنية القليلة التي عرفت عنهم وما تزال ظاهرة إلي اليوم قناة تتعلق بمجرى الراين الأسفل ولا سيما قناة (Fossas Drusianae)أو قناة دروسوس العسكرية والمعروفة اليوم باسم ايسيل (Ijssel) التي كانت تربط الراين ببحيرة فليفو (Flevo Lacus)المعروفة ببحيرة(Zuiderzee) بهولندا اليوم, أو القناة التي بدأ بها (قيصر) واستمر (نيرون) في العمل عليها في ما يعرف اليوم بقناة كورنثية أو (Dhioryga tis Korinthou) والتي كانت تهدف لشق برزخ كورنثية وتفتح الطريق المباشر ما بين بحر إيجه والبحر الأيوني لتفادي الدوران حول شبه جزيرة البيلوبينز جنوبا[15].

وعرفت الملاحة في البحر المتوسط ازدهارا غريبا بعد أن قضي على أعمال القرصنة التي تعرض لها منذ أن دمر الرومان قوة رودوس البحرية في القرن 2 ق م, ولكن على الرغم من استتاب الأمن وضمان حرية الملاحة البحرية في المتوسط بفضل العناية التي أولها الأباطرة لسلامة إمدادات القمح من مصر وإفريقيا, إلى أن تطور صناعة السفن التجارية لم تعرف أي تطورا ملموسا يراعي ويواكب هذا النشاط الدؤوب في حركة التجارة المتوسطية، واستمرت هندسة السفن وأحجامها متوسطة على الجمال ذو حمولة وسرعات متوسطة ساهمت إلى حد كبير في خفض وتيرة النشاط التجاري ورفع تكاليف الرحالات التجارية حيث كثيرا ما اضطر التجار شحن بضائعهم في أكثر من رحلتين وهذا ما انعكس أيضا على أسعار البضائع التي شحنت ذهابا وإيابا, وعلى نقيض هذا فإن الأسطول الإمبراطوري الخاص بدائرة التموين ونقل الحبوب (Cura Annonae) كانت تخضع لتصاميم خاصة التي أتى المؤرخ الروماني (بليني الأكبر) على ذكرها, حيث بلغت من ضخامتها أنه كان منها ما استخدم لحمل المسلات فرعونية أو قواعد تماثيل بوزن لا يقل عن 500 طن بقطع النظر عن صابور السفينة الذي كان يبلغ أحيانا وزن 800 طن أما في ما يخص القمح فقد كانت حمولة السفينة الواحدة تقدر بـ: 350 طن تحفظ في أقسام خاصة منعا لتعرضها للرطوبة والتعفن, وظلت عبارة القمح الإمبراطورية الأكبر على الإطلاق إلى غاية ظهور عبارة الأطلسي البخارية (atlantic steamer) في القرن 19 الميلادي[16].

3. 4 بناء سفن النقـــل:

نظرا لحاجة روما إلى مئات أو حتى آلاف السفن لنقل الحبوب فقد شجعت الدولة مصانع الخواص (collegia navicularii) على بناء السفن الكبيرة وكثيرا ما استغلت الإدارة الرومانية سفنا مملوكة للقطاع الخاص في نقل الحبوب، وقدمت الحكومة الرومانية إعفاءات واستثناءات ضريبية لتشجيع بناء السفن وتجارة الحبوب، وواجهت مخاطر الشحن على نفسها من خلال توفير شكل من أشكال التأمين لمالكي السفن، وقد أدى إعداد المرافئ البحرية منها والنهرية وتهيئتها إلى القيام بأشغال عظيمة حذا المهندسون الرومان حذو أسلافهم اليونان وفاقوهم في أشياء كثيرة تشهد عليها معالم موانئ الإسكندرية وبمبيوبوليس في كيليكية وطرابزون على البحر الأسود بتركيا وغيرها, ولكن لم تبلغ هذه الأشغال من العظمة والجهد ما بلغه إعداد مرفأ اوستيا (Portus) ومرفأ روما الرئيسي ولا تزال ماثلة إلى اليوم معالم الإنشاءات الجبارة التي قام بها المهندسون الرومان كالأرصفة الضخمة التي أقاموها لكسر قوة أمواج البحر العاتية والجزر الاصطناعية كجزيرة المنارة (praeberi Fari) عند مدخل الميناء وجزيرة (Isola Sacra) أو الجزيرة المقدسة التي بنيت ما بين التيبر والبحر التيراني كواحدة من أوائل الجزر الاصطناعية في التاريخ التي تعد بحق أحد إعجازات الهندسية المدنية الرومانية وقد شقت (Isola Sacra) قناة بحرية سميت بـ: (Fiumara Grande) تصل ما بين الميناء الرئيسي ومنطقة متسودعات التخزين المسماة (horrea) في اوستيا والتي خصصت حصرا للمرور مراكب الحبوب التي كانت تنقل حمولة الحبوب من الميناء إلى القطاع الجنوب للميناء حيث توجد مستودعات التخزين (horrea) أو تنقله مباشرتا إلى روما عبر نهر التيبر[17].

4. تنوع مظاهر الاقتصاد الروماني

1. 4 أهم السلع والمنتجات الرومانية وحركة النقل مع العالم الخارجي:

1. 1. 4 في الجانب الزراعـــي:

-كانت الزراعة أساس حياة الرومان، حيث كانت الملكية الفردية قائمة فى روما منذ أقدم العصور ويعمل بها جميع أفراد الأسرة وعبيدها، وقد امتلكت الطبقة الارستقراطية مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وعمل عندهم أعداد كبيرة من العبيد، وبالتالي تنوعت محاصيلهم كالقمح وبساتين الزيتون وكروم العنب والفاكهة والبقول، كما تنوعت ثروتهم الحيوانية، كالخنازير والأبقار والأغنام

التي تربى من أجل ألبانها وأصوافها وجلودها، وكانت شمال إفريقيا كالمغرب ومصر مخزنا للقمح الدائم للإمبراطورية الرومانية[18].

4. 1. 2 في الجانب الصناعـــي:

كانت الصناعة أقل نسبياً من الزراعة من حيث أهميتها، والصناعات الكبيرة فى روما القديمة تتمثل فى منتجات التعدين كاستخدام المناجم لاستخراج المعادن التي استخدمت في صناعة الأدوات والأسلحة كما تم استخراج كميات كبيرة من الذهب والفضة التي تستخدم في صناعة القطع النقدية والمجوهرات وتم استخداملالحديد والرصاص والقصدير في صناعة الأسلحة، إضافة للمحاجر التي وفرت الحجارة لبناء المشروعات المختلفة، والفخار الذي أنشأت له روما مصانع صغيرة من أجل تصنيع قطعه، بجانب الصناعات اليدوية، وصناعات أخرى تمثلت في النسيج والصباغة وصناعة الطوب والنجارة[19].

4. 1. 3 التجارة وحركة النقل:

كانت التجارة في الدولة الرومانية في العصر الملكي قاصرة على تبادل البضاعة والسلع بين الأقاليم الرومانية، حيث كان نهر التيبر واحدا من أهم الطرق التجارية داخل شبه الجزيرة الإيطالية، ومع بداية الجمهورية الرومانية، دخلت روما في اتفاقيات للتبادل التجاري مع الممالك القديمة، وازداد نشاطها التجاري منذ أن بدأ عهد الإمبراطورية الرومانية على يد أغسطس، ولذا عرفت الإمبراطورية ازدهار النشاط التجاري نتيجة هيمنة الإدارة المركزية في روما على الإمبراطورية في الداخل والخارج، وتأمين الملاحة البحرية بفضل قوة الأسطول الروماني، وفتح أسواق جديدة في أفريقيا وأسبانيا، مع إعطاء الفرصة لقرطاجة لممارسة نشاطها التجاري من جديد، وأصبح البحر المتوسط طريقاً داخلياً للربط بين الولايات الرومانية، كما كانت السفن التجارية الرومانية متقدمة بشكل كبير على السفن اليونانية، ومن هنا تعددت الطرق التجارية والبضائع التجارية التي ركزت بالخصوص على النقدية والتجارية منها طريق البخور، و طريق شمال أفريقيا، وطريق البحر الأسود، و سلسلة الطرق المنتشرة في أوروبا[20].

4. 1. 4 الأسواق والنقـــد:

اهتم الرومان بتوفير العملات النقدية الخاصة بهم لتسهيل المعاملات التجارية، وكانت نقودهم تصنع من الفضة والذهب والبرونز، وأحياناً بلغت قيمة كل عملة المعدن الذي تحتوى عليه، وقد قامت في خدمة التجارة حتى أواخر القرن الثاني للميلاد عملة رومانية قوية وسليمة وقد أجيز لبعض المدن الكبرى وعلى رأسها أنطاكية والإسكندرية في الشرق وكورنثية في اليونان التي نعمت بحقوق المواطنة الرومانية سك بعض النقود من الفضة وبالأخص البرونز ومثل هذا الامتياز الذي كان قابلا للإلغاء خضع بطبيعته لمراقبة شديدة من قبل السلطات الرومانية المركزية في الولايات المعنية , والتعامل بهذه العملات التي أطلق عليها علماء المسكوكات المعاصرين اسم العملات الاستعمارية كان يتم في نطاق ضيق لا يشمل التجارة الخارجية إلى انه فتح المجال أمام أعمال الصرافة المحلية من حيث توفير السيولة النقدية والتي عرفت الحركة التجارية المحلية أن تستفيد منها بيسر لوفرة النقد الرسمي المتداول بين الناس, وقد كان سك العملة البرونزية(assēs) حقا محصورا بمجلس الشيوخ ويخضع بتالي لمراقبة شديدة من قبل الإدارة الإمبراطورية لأنها كانت عملة رسمية للدولة, ولتجنب التضخم وتفادي هبوط قيمة النقد اعتمد الرومان في سك العملة البرونزية على خليط من الرصاص والزنك مع النحاس والقصدير[21].

وكانت قطعة البرونز المثالية as تلك القطعة التي تساوي ربع (sestertius) فضي وهذه القطعة بقيت الوحدة الأساسية في التداول حتى في المبالغ الكبرى خصوصا في الغرب وايطاليا[22].

4. 2 التشريع الزراعي في الدولة الرومانية:

كانت نقطة انطلاق هذا التشريع القانوني الذي أقره الشعب بناء على اقتراح "طيباريوس غراكوس" حماية حقوق الشعب، استندت كافة القوانين أو المشاريع إلى المبدأ القانوني الذي يتيح للدولة أن تملك جميع الأملاك العامة، التي لم تنقل ملكيتها إلى شخص آخر وفقا للأنظمة المراعية التي كان باستطاعتها استعادة الأراضي المحتلة والتصرف بها كما يطيب لها، ولم يعرف القانون الروماني شأنا في شأن القانون اليوناني الاستملاكي للدولة الذي تلجأ اليه الإصلاحات الزراعية الحالية، وقد اكتفى قانون سنة 133 بتعيين حد أعلى يعادل 125 هكتار لرب العائلة يضاف إليها 62.5 هكتار لكل ولد، ومقابل ذلك يصبح هؤلاء مالكين شرعيين للأراضي الباقية وتقسم الأراضي المستعادة وتوزع على المواطنين، لكل منهم نصاب بمساحة 7.5 هكتارات لكل منهم لا يمكن بيعها، وتخضع لفريضة سنوية تسمح

بمراقبة مصيرها فتتكون مرة أخرى طبقة صغار مستثمرين التي اعتبرت ضرورية لعافية المجتمع والدولة[23].

وبفضل سلسلة طويلة من القوانين الزراعية لم يقتصر على حصص الـ 7.5 هكتارات بل توصلوا إلى 50 هكتار وألغوا الضريبة المفروضة عليها مما سهل نقلها للغير، وقد شرعوا في تطبيق هذه التدابير ليس في إيطاليا فحسب بل في الأقاليم الأخرى أيضا، حيث شملت الأملاك العامة كثيرا من الأراضي الخصبة. في نفس الوقت أراد المصلحون الأولون تخفيض عدد المواطنين الفقراء بالاستفادة منهم فسمح "ماريوس" للكادحين بالانخراط في الجوقات وحرص جميع القادة الظافرين على ايثاق تعلق جنودهم بهم بتأمين المكافأة لهم، فلجأ المصلحون إلى القوانين الزراعية كي يوزعوا على الجنود أنصبتهم من الأملاك بعد تسريح الجيش، بالإضافة للغنيمة الفردية مما أحدث إقبالا على التطوع عند اندلاع الحرب مما جعل الريفيون البؤساء يرضون بالمخاطرة بحياتهم بضع سنوات رغبة منهم في تأمين الحصول على قطعة أرض بعد نهاية الحرب.

5. دور الإصلاحات والتنوع الاقتصادي:

5. 1 تقنيات الزراعة الرومانيـــة:

كانت أساليب الزراعة وأدواتها لا تختلف اختلافاً جوهرياً عما كانت عليه منذ قرون، فقد احتفظ المحراث، والمجرفة، والمعزقة، والفأس، والمذراة، والمنجل بصورتها التي كانت عليها في تلك الأيام، ولم تكد تتغير في شيء. وكانت الحبوب تطحن في طواحين تديرها المياه أو الحيوانات. وكانت المضخات اللولبية والسواقي ترفع الماء من العيون أو الأنهار إلى قنوات الري. وكان يحفظون بخصب التربة بأتباع الدورة الزراعية، واستخدام المخصبات والنباتات التي تفيد الأرض كالفصفصة والبرسيم والشيلم والفول. وكانوا يتفننون في انتخاب البذور، وكان في وسعهم بعنايتهم وحذقهم أن يجنوا ثلاثة محاصيل أو أربعة في بعض الأحيان من حقول كمبانيا ووادي البو الخصبة الغنية. وكان في مقدورهم أن يحصلوا من زرعة واحدة من الفصفصة على أربعة محصولات أو ستة في كل عام لمدة عشرة أعوام. وكانوا يزرعون كل الخضر الأوربية المعروفة عدا أندرها، وكانوا يزرعون بعضها في البيوت الزجاجية ليتجروا فيها أثناء الشتاء. وكانت أشجار الفاكهة والنقل على اختلاف لا أنواعها كثيرة، لأن القواد والتجار الإطاليين، والتجار الأجانب، والأرقاء حملوا معهم إلى إيطاليا الكثير من أصنافها، فجاءوا بأشجار الخوخ من بلاد الفرس، والمشمش من أرمينية، والكرز من كراسس في إقليم بنتس (ومنها اشتق اسم هذه الفاكهة)، والكرم من سوريا، والبرقوق من دمشق، والخوخ والبندق من آسية الصغرى، والجوز من بلاد اليونان، والزيتون والتين من أفريقية.. واستطاع المهرة من زراع الأشجار أن يطعموا شجر القطلب (الأربوطس) بأغصان شجر الجوز، وشجر الدلب بأغصان الخوخ، وشجر الدردار بأغصان الكرز. ويذكر بلنى تسعة وعشرين نوعاً من شجر التين كانت تزرع في إيطاليا، ويقول كالوملا: "لقد عرفت إيطاليا بفضل عناية زراعنا كيف تنتج فاكهة العالم كله تقريباً". ثم نقلت هذه الفنون إلى غربي أوربا وشمالها. وجملة القول أن ألوان الطعام الكثيرة التي نأكلها قد تجمعت من رقعة واسعة من الأرض، وان لها من ورائها تاريخ طويل. وقد يكون هذا الطعام جزءاً من التراث الذي ورثناه من بلاد الشرق أو بلاد اليونان والرومان الأقدمين[24].

5. 2 الإعانات الاقتصادية للمواطن الروماني:

كل هذا وما إليه إلى جانب هبات الأعياد والألعاب المعدة للترفيه عن الشعب, كالأعطيات (congiaria) التي توزع عينا ومقدارها (445 sestertius)في عهد (أغسطس) و (300 sestertius) في عهد (تيبريوس) و (كاليغولا) وهو الرقم المألوف، ثم ارتفعت الكمية في القرن الثاني بعد إخضاع داسيا الغنية بمناجم الذهب بحيث تجاوزت (650 denarius) في عهد (ترجانوس) وبلغت 1000 في عهد (هدريانوس) لتنزل إلى (850 sestertius) في عهد (ماركوس اوريليوس) واستقرت على (800 sestertius) في عهد (كومودوس), وهي مبالغ كانت توزع على المواطنين المتوسطي الدخل أثناء بعض الأعياد الذين لا يستفيدون من المساعدة الغذائية المجانية وهذا في ما يتعلق بالمساعدات المادية والعينية، أما من حيت جهة الإدارة الفنية لاستيراد وتنظيم توزيع هذه المساعدات فكان ذالك يعني إنشاء مفوضتي التموين والتوريد(cura alimentorum)
و(Annonae) وتوفير وسائل النقل البحري وتجهيز أرصفة نهر التيبر وتجهيزها بمخازن القمح إلى جانب تهيئة وتوسيع مرفأ اوستيا ومرفىء روما الرئيسي لاستقبال عبارات القمح الضخمة التي تجوب المتوسط من شرقه إلى غربه..

5. 3 اقتصاد الحرب وتموين الجيوش بالغذاء:

أما أمر تموين الفيالق وتجهيزها بالعدد والعتاد والمؤونة فقد وضع الدوائر المعنية أمام مسؤولية ثقيلة كان حلها مع ذلك أبسط وأسهل

من تموين الشعب، فمجموع أفراد الجيش المطلوب إعالتهم من العراق والقوقاز إلى بريطانيا وإفريقيا لم تتجاوز أعدادهم 300 ألف جندي وكانت أقل من هذه الجماهير الشعبية التي يجب مساعدتها في روما، ثم أن هذا الجيش لم يكن مجتمعا أو محتشدا كهذه الجماهير المتراصة في روما والتي تعجز أخصب السهول المجاورة عن إشباعها بل كان موزعا على الحدود في قواعد ثابتة تحمي الأراضي والمزارع التي كانت تستغل في المؤخرة وكان يكفي لتامين حاجته من الطعام بان يحصل من الولايات الغنية القريبة له فائضا كافيا من محصول الأرض أو موارد غذائية أخرى وان يؤمن نقلها بحيث تصل إلى المستهلكين بسلام, أما المشكلة الأولى فكان حلها أسهل بواسطة الأموال التي استخدمت لشراء فائض المحصول لتموين الجيش, أما المشكلة الثانية فهي الأدق والأصعب سواء للجيش أو لروما نفسها وصعوبة الأولى نظرا لوقوع هذه الحدود والقواعد العسكرية في منأى عن البحر المتوسط وموانئه وهذا ما دعا لشق الطرقات البرية عندما يتعذر النقل النهري, أما بالنسبة لروما فقد كانت الممرات الملاحية التي تربط روما بمراكز إمدادات الحبوب (مصر وشمال إفريقيا وصقلية وربما أماكن أخرى) ذات أهمية إستراتيجية، وكل من يسيطر على إمدادات الحبوب كان له مقاييس هامة للسيطرة على مدينة رو[25].

6. المبادلات التجاريـــــة:

6. 1 النقل التجاري وتموين المدن:

كان توفير الحبوب إلى روما مهمة شحن رئيسية وإدارية للرومان، ولم يكن من الممكن توفير احتياجات روما عن طريق النقل البري، كون "شحن الحبوب من أحد أطراف البحر الأبيض المتوسط إلى البحر" أرخص من "حمله عن طريق البر، وهكذا كان هناك أسطول كبير من سفن الحبوب مطلوبة لجلب الحبوب من صقلية وسردينيا القريبة نسبيا، وشمال أفريقيا البعيدة، ومصر الأكثر بعدا، في مسافات الخطوط المستقيمة (والسفن الشراعية لا تسافر عادة في خطوط مستقيمة)، كانت المسافات من صقلية إلى روما أكثر من 500 كيلومتر (310 ميل)، ومن قرطاج في شمال أفريقيا أكثر من 600 كيلومتر (370 ميل)، ومن مصر المزيد من 2000 كيلومتر (1200 ميل)، وقد تكون أوقات الإبحار من موانئ أوستيا (بالقرب من روما) وبوتولي) Puteoliبالقرب من نابولي) إلى الإسكندرية في مصر قصيرة لمدة 14 يومًا، إلى أن العودة إلى روما تستغرق وقتًا أطول لأن الرياح كانت عادة سلبية وكان على السفن أن تعانق السواحل والسفر بطريقة مستديرة "كانت الرحلة من الإسكندرية إلى روما معركة مستمرة ضد رياح كريهة، وقدر (ليونيل كاسون) أن متوسط الوقت للرحلة كان 70 يومًا تقريبًا بحيث كانت الحبوب تعبئ في أكياس خاصة، بدلاً من حملها في حاويات السفن حفاظا على جودتها من رطوبة البحر[26].

6. 2 الواردات الغذائية من الشمال الإفريقي:

بالنظر إلى الوقت اللازم لتحميل وتفريغ سفن الحبوب يدوياً، فمن المرجح أن تكون السفن التي تعبر مسار مصر إلى روما قد أكملت رحلة واحدة في السنة فقط، ويمكن القيام بالعديد من الرحلات المستديرة سنوياً من شمال أفريقيا أو صقلية، والى هذا يعتقد أن إسبانيا كانت أيضا مصدرا هاما لزيت الزيتون، وربما الحبوب، وإذا كان موسم الحصاد للحبوب في مصر القديمة من أبريل إلى أوائل يونيو، ووقت بدأ فيضان النيل السنوي في شهر يونيو، فبالتالي كان من الضروري الانتهاء من الحصاد قبل أن تغطي مياه النهر الأرض، ويبدو أن الحبوب في مصر كانت تحصل عليها روما كضريبة على المزارعين، حيث تم نقل الحبوب في الغالب من خلال المراكب على مختلف روافد نهر النيل إلى بحيرة (Mareotis) المتاخمة للجزء الجنوبي من مدينة الإسكندرية، هناك يتم تفتيشها ومعاينة الجودة، وعندما يتم قبولها، تنقل إلى ميناء الإسكندرية العظيم، حيث تم تحميلها على متن السفن إلى روما، أما الحبوب من شمال إفريقيا، فقد وجد علماء الآثار في شمال أفريقيا تسعة وعشرون ميناءًا (غير مصر)، يُحتمَل أن يكونوا مصدرًا حبوبًا إلى روما، تراوح مكانها من ليبيا إلى المغرب وربما كان أكبرها قرطاج، وبالنظر إلى عدم وجود أنهار صالحة للملاحة في المنطقة، تعين نقل الحبوب إلى هذه الموانئ عن طريق البر، مما يوحي بأنه، بسبب تكلفة النقل البري، زرعت الحبوب على مقربة من الموانئ. ومن المحتمل أنه تم نقل الحبوب إلى الموانئ في عربات بأربعة عجلات مرسومة بواسطة أربعة ثيران، كل عربة تحمل 350 كيلوغراما (770 رطل) إلى 500 كيلوغرام (1100 رطل) وقد تكون الحبوب من (Cyraenica) في ليبيا القديمة مهمة لأن الحصاد المبكر يمكن أن يمد روما قبل أن يتم حصاد مناطق زراعة الحبوب الأخرى[27].

6. 3 دور الشمال الإفريقي في تموين الرومان بالقمح:

خلال العهد الجمهوري، تم شحن الحبوب إلى مدينة روما من صقلية وسردينيا وخلال القرن الأول قبل الميلاد، كانت المصادر الرئيسية الثلاثة للقمح سردينيا وصقلية وشمال أفريقيا، أي المنطقة التي كانت

مركزًا في مدينة قرطاج القديمة، تونس الحالية، ومع انضمام مصر إلى الإمبراطورية الرومانية عهد الإمبراطور أغسطس، أصبحت مصر المصدر الرئيسي لتوريد الحبوب لروما، وقد كان المؤرخ (جوزيفوس) يدعي أن أفريقيا كانت تغذي روما لمدة ثمانية أشهر من السنة ومصر أربعة فقط، على الرغم من أن هذا التصريح قد يتجاهل الحبوب من صقلية، ويبالغ في تقدير أهمية أفريقيا، إلا أن هناك القليل من الشك بين المؤرخين بأن أفريقيا ومصر كانت أهم مصادر الحبوب لروما إلى جانب قمح البحر الأسود القادم من مملكة البوسفور العميلة في ما يعرف اليوم بالقرم, وفي الفترة الجمهورية وللمساعدة في ضمان إمدادات الحبوب لروما، قام (Gaius Gracchus) بتوطين 6000 مستعمر قرب قرطاج في القرن الأول قبل الميلاد ضمن ما عرف بمشروع قانون (Lex Sempronia) ومنحهم حوالي 25 هكتارًا (62 فدانًا) لزراعة الحبوب التي يعاد تصديرها لروما كما نصت حزمة قوانين (Lex Sempronia) المثيرة للجدل حينها على أن يتم توزيع القمح على المواطنين الرومان بالمجان منعا لاستخدام سلاح القمح في الانتخابات القنصلية كوسيلة لتقرب من المواطنين وكسب تعاطفهم[28].

6. 4 تغطية المستعمرات الرومانية لمواردها وحاجياتها الزراعية:

باستثناء مصر التي بقيت خاضعة لنظام خاص من الاستغلال والاستثمار لا رحمة فيه للفلاح المصري كان الوضع القائم مؤاتيا لحياة اقتصادية ناعمة تعم جميع أطراف الإمبراطورية لا سيما والاستقرار السياسي الذي تنعم به البلاد كان يشجع على القيام بهذا المجهود، فروما والجيش وشعوب الإمبراطورية الذين فاقوا الخمسين مليون نسمة ألفوا في الإمبراطورية سوقا للاستهلاك لا حدود لها تقريبا إذا كان من اتساع هذه الحاجات وتنوعها ما يتطلب المزيد من إنتاج محاصيل الأرض فالي جانب القمح الذي كان يؤلف أساس الغذاء يجب أن نضيف محاصيل غذائية أخرى متنوعة يتطلبها الكثيرون من الزبائن والمستهلكين ومقادير هائلة من المنسوجات والمصنوعات التي يمكن نقلها على طريق القائمة في جميع أطراف الإمبراطورية، وقد كانت روما لوحدها قطب جذب ومركز ثقل هائل لكل ما يمكن أن يبلغ في طريقه إلى موانىء البحر المتوسط, حتى ما كان منها من الكماليات الغالية الثمن لوجود أصحاب ثروات هائلة طائلة في أحيائها وصروحها, أما تمركز الفيالق ضمن قواعد ثابتة على أطراف حدود الإمبراطورية وحدودها المتاخمة لشعوب البرابرة قد بعث في هذه الأقطار المتأخرة في تطورها عن ركب الحضارة, ونتيجة حتمية لاحتكاكهم بالعالم الروماني نشاطا اقتصاديا عارما لم تعرفه من قبل كان من بعض نتائجه الخيرة إحياء الأرض وإعمارها واستقرار السكان في قرى سرعان ما تحولت إلى مدن على حدود الإمبراطورية وإنشاء المصانع والمعامل في ارجائها[29].

6. 5 النشاط التجاري بين الرومان ومستعمراتهم المؤمن والمستمر:

إن شبكة الاتصال المنتظمة داخل الإمبراطورية والتي تربط مقاطعتها الساحلية بالمقاطعة الواقعة في مؤخرتها, إضافة إلى حركة الملاحة في المجاري المائية والنهرية الكبرى مهد السبيل أمام حركة تبادل تجاري جبارة وكبرى ليس فقط مابين أقطار الإمبراطورية الداخلية بل حتى مع عالم ما وراء الإمبراطورية المتبربرة والذي لم تقتصر فيه المبادلات على البضائع الاستهلاكية فقط.، وهكذا فان القضية المحسوسة الكبرى التي اهتم بها المؤرخين اليوم هي تلك الحركة الاقتصادية التي تبلورت حول تشعب العلاقات التجارية وتشابك هذه العلاقة التجارية التي ضمت الأقطار الشاسعة الواقعة في شمال أوربا الغربية وشواطئ الضفة الغربية للبحر المتوسط إلى الوحدة الاقتصادية التي اقتصرت في ما مضى على شواطئ البحر المتوسط الشرقية وعالم الشرق الأدنى الهلينستي فجاءت الفتوحات الرومانية وربطتها بقلب ايطاليا في العهد الجمهوري ثم راحت هذه الوحدة الاقتصادية تتسع في العهد الإمبراطوري لتضم في نطاقها قطاعات ما وراء الدانوب والرين وجنوب اسكندينافيا وغرب روسيا وشمال اسكتلندة, وهكذا نرى سكان اسكندينافيا يتاجرون مع ايطاليا وجنوب بريطانيا يتاجر مع لبنان في الوقت الذي ذهب فيه التجار السوريون يجوبون جميع أطراف العالم الروماني الذي كان قبل كل شئ وحدة سياسية وعسكرية ولم يلبث أن أصبح وحدة تجارية واقتصادية ناشطة حية بفضل الروابط التي شدت دوانيه إلى أقاصيه عبر البحر المتوسط[30].

6. 6 عوامل ازدهار تجارة المستعمرات الرومانية:

هذا الازدهار التجاري توفرت له عوامل تقنية في غاية الملائمة, فمن مقومات هذا الازدهار هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف ذات العملة والجهاز الإداري والنظام القانوني الموحد في جميع أقاليمها والغنية بالإنتاج المتنوع والغلال المتعددة والمحاصيل الزراعية المختلفة والأساليب والمنتجات الصناعية المتباينة, وكان السفر والتجوال في جميع أطرافها حرا لجميع رعاياها لا يحد من إمكانياته إلا ازدواجية اللغة: اليونانية في الشرق واللاتينية في الغرب, ومع ذالك لم تؤلف هذه الازدواجية عقبة استعصى حلها في وجه النشاط الاقتصادي,

وانتقال المحاصيل الزراعية من ولاية إلى أخرى حضي بالحرية نفسها لتنقل الأفراد, باستثناء الحبوب المصرية التي لم يكن الأباطرة يسمحون بتصديرها لغير ايطاليا إلا في ما ندر, وكانت هذه المبادلات تخضع بالطبع لرسوم وضرائب اختلفت في اقدراها ونسبها حسب طبيعة الحمولة وأوزانها ووسائل نقلها ووجهة سيرها ومن بين هذه الرسوم الرسم الاقليمي (portoria) الذي يعتبر أول نوع من الضرائب غير المباشرة التي ظهرت في التاريخ والذي كانت تفرضه الدولة الرومانية على البضائع التي تجتاز شبكة الطرق المركزية الكبرى كضريبة عن حق استغلال الطريق كما لو مرت البضائع في الطرق الألبية التي تفصل غاليا عن ايطاليا أو طرق آسيا الصغرى التي تفصل سوريا عن اليونان وما تجدر الإشارة إليه أن نسبة رسوم استغلال الطرق المركزية كانت أكثر ارتفاعا في الشرق منها في الغرب نظرا لارتفاع نسبة قيمة البضاعة المستورة والمصدرة التي تأتي وتذهب إيابا باتجاه الشرق حيث بلغت تلك النسبة ما يساوي 5 بالمائة من قيمة البضاعة في حين أنها قلما تجاوزت نسبة 2 بالمائة في الولايات الغربية, وقد كان لهذا الرسم نفس مفهوم الرسوم الجمركية في وقتنا الحالي حيث كان يفرض عند مداخيل وبوابات بعض المدن الكبرى قبل دخول هذه السلع إلى تلك المدن أو عند اجتياز حدود (الليمس) الروماني بالنسبة للبضائع القادمة من خارج الإمبراطورية, وقد فرضت هذه الضريبة التي اشتقت اسمها من اسم الميناء باللاتينية (portus) منذ بداية العهد الإمبراطوري على السفن التجارية الراسية في الموانئ الكبرى كالإسكندرية وقرطاجة وروما ونابولي باستثناء عبارات شحن الحبوب التي كانت معفية من هذه الرسوم.[31]

الخاتمــة

قدمت الدراسة موضوعا يتناول واقع ومظاهر الاقتصاد الروماني في المستعمرات التي احتلتها، ومن ضمنها منطقة المغرب القديم، وتمت الإشارة على التوالي النشاط الزراعي ومظاهره، ودور المستعمرات الرومانية في ازدهار حركة الاقتصاد، طرق المواصلات الاقتصادية، تنوع مظاهر الاقتصاد الروماني، دور الإصلاحات والتنوع الاقتصادي، ثم المبادلات التجارية، وتلك هي ما يمثل مظاهر الازدهار الاقتصادي في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها، وأخذنا منطقة المغرب القديم كأنموذجا،

ومن بين أهم النتائج المتوصل إليها هي اعتبار الومان محتلا بامتياز لأنه جاء من أجل استغلال ونهب خيرات تلك البلدان، واستعمال أراضيها وثرواتها من أجل إمداد مدنه وجيوشه بالمؤن، والسلع، كما عما المستعمر الروماني على خلق نهضة زراعية وصناعية حسب الإمكانات المتاحة آنذاك، ولكن باستنزاف الأراضي، وقطع الأشجار بإفراط، ومصادرة الأراضي، واستغلال الفلاحين،

من بين أهم الاقتراحات ذات الصلة بالموضوع هو تشجيع الطلبة والباحثين على ترجمة الوثائق المادية والأدبية التي تتعلق بجوانب التاريخ الاقتصادي في بلاد المغرب القديم والدولة النوميدية مصدر الجزائر المعاصرة، إضافة لاستنتاج الأحداث التاريخية من خلال مظاهر التطور الاقتصادي، مع الكشف عن الخبرة المحلية في الصناعة والزراعة، وإمكانات المغرب ومدنه من حيث السهول، وامياه، وشبكة الطرق، وبامكان بلدانه أن تتعاون من أجل إحداث نهضة حضارية على غرار ما فعل الرومان بمستعمراته...

***) المراجـــــــع:**

[1] محمد شقير، تداعيات الاحتلال الروماني على وحدة الدولة بالمغرب، جريدة هسبرس الإلكترونية المغربية، الثلاثاء 06 فبراير 2018 - 00:58

[2] محمد شقير، المرجع السابق.

[3] محمد شقير، تداعيات الاحتلال الروماني على وحدة الدولة بالمغرب، جريدة هسبرس الإلكترونية المغربية، الاثنين 05 فبراير 2018 - 05:00

[4] خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف محمد العقون العربي، جامعة قسنطينة2، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص ص. 20- 49.

[5] حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول، (203- 46 ق.م)، دار هومة، الجزائر، 1996، ص ص. 100- 114.

[6] محمد مبارك الميلى , تاريخ الجزائر القديم والحديث , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1976 , ص.33.

[7] أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث في ليبيا،ط2 ،دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع ،مصراتة، 2004 م،ص124

[8] Peyras. J, les cités libres à l'époque romaine, in: D.H.A, Volume 23, N°1 ,1997, PP. 307-310.

[9] رستوقتزف. م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج. 1، ترجمة ومراجعة زكي على ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص. 29 ؛ بورونية الشاذلي والطاهر محمد، قرطاج البونية: تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص. 253.

[10] جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، ترجمة محمد التازى سعود، ج. 2، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2008، ص. 15.

[11] عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، نشر دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص ص. 60- 70.

[12] شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودو رها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 98.

[13] جين أفريك، اليونيسكو، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات إفريقيا العام، ترجمة السيد أحمد عبد الرحيم مصطفى

وآخرون، إشراف جمال مختار، الجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)، ص. 12 وما بعدها.

[14] Th. Kissel, "Road-Building as a munus publicum" dans P. Erdkamp dir., The Roman Army and the Economy, Amsterdam, 2002, PP. 127-160.

[15] رستوفتزف. م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة زكى على، دار النهضة المصرية ، القاهرة، 1957، ص ص. 370- 390.

[16] محمود إبراهيم السعدنى، تاريخ وحضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول للميلاد، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2007، ص ص.130- 148.

[17] ستانفورد ماك كراوس، كتاب العبودية والاقتصاد في روما القديمة، ترجمة محمد عرفات، نشر كتب كامبريدج ستانفورد، ص. 20 وما بعدها. ؛ أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2007، ص ص. 15 – 37.

[18] Berbrugger A, les romains dans le sud de l'Afrique, R.A., Volume2, 1957, P. 283.

[19] Potter David S, (2009), A Companion to the Roman Empire, John Wiley & Sons, P.285

[20] إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، ط. 1، دار النشر الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1996، ص. 101.

[21] Kessler, David and Temin, Peter (2010) "Money and Prices in the Early Roman Empire," in The Monetary Systems of the Greeks and Romans, Oxford University Press.

[22] السسترس أو السسترتيوس أو السيسترتيوس، كانت عملة رومانية قديمة. خلال الجمهورية الرومانية، كانت عملة فضية صغيرة تصدر فقط في مناسبات نادرة. خلال الإمبراطورية الرومانية كانت عملة نحاسية كبيرة.

[23] René Martin, Recherches sur les agronomes latins et leurs conceptions économiques et sociales, Paris, 1971, P. 418.

[24] ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، نشر دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988، ص ص. 15 -37.

[25] غابريال كامبس، المرجع سابق، ص.6

[26] علي بن ثابت، روما وتنظيم الاستغلال الاقتصادي في شمال إفريقيا، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 60 ـ العدد 62 ، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر، جوان 2021، ص ص. 473 - .444.

[27] محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتالاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول، 203-46 ق.م، دار هومة، الجزائر، 1996، ص ص. 100 – 114.

[28] آسيا مسعودي بوعجيمي، إنشاء وتطوير المرافق الأساسية للتجارة الرومانية في المغرب خلال العهد الإمبراطوري الأول، معهد اقتصاد المكتبات، جامعة الجزائر، حوليات جامعة الجزائر، 1994، ص ص. 159-166.

[29] محمد علي أبو شحمة، المزارع المحصنة بالمنطقة شبه الصحراوية ودورها في ترسيخ الاحتلال الروماني لإقليم المدن الثلاث وما حولها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة 1 أكتوبر، كلية الآداب، مصراتة، 2007، ص ص. 70-79.

[30] شكيب بيبا، الاقتصاد الروماني ودور التجارة في العهد الإمبراطوري الأول، نقلاعن موقع: https://army-tech.net/forum/index.php?threads، 14 أكتوبر 2018.

[31] خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، رسالة ماجستير في التاريخ، تخصص الريف والبادية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، 2013، ص ص. 62-72.